

٣- الحركة النهلستية

ومصرع القيصر اسكندر الثاني

صفحة رابعة من صحف الثورة على الطغيان

للأستاذ محمد عبد الله عنان

تلك هي الوثيقة التاريخية المؤثرة التي وجهتها اللجنة التنفيذية إلى القيصر الجديد ؛ ولكنها لم تحدث أثراً . ولم تكن الدوائر القيصرية تفكر في النزول عند نذير المهين ولا يجف دم الجريمة الرأفة التي كانت في الواقع ذروة الارهاب السياسي ؛ ومن ثم فقد ردت القيصرية بمضاعفة إجراءات القمع والإيمان في مطاردة المهين والثوريين ، وقبض خلال شهر مارس في بطرسبرج على عشرات منهم ، ولكن لم يقدم في النهاية إلى المحاكمة القضائية سوى ستة هم أندري جليابوف وصوفيا يروفسكايا ونيكولا كباتشش وجيا هلفمان وتيموتي ميخايلوف ونيكولا ريساكوف وبدأت المحاكمة في ٢٦ مارس سنة ١٨٨١ أمام محكمة عليا ألفت من ستة من الشيوخ وعضوين يمثلان النبلاء هما الكونت بورنسكي والبارون كورف ، وممثل للتجار ، وممثل للفلاحين ، وعمدة موسكو ، وممثل لبطرسبرج ؛ وتولى الرئاسة الشيخ فوكس ، وتولى إجراءات الاتهام النائب مورافيف الذي غدا فيما بعد وزيراً للمدل .

وكان أهم المتهمين في تلك القضية الشهيرة هما بلايريب جليابوف وصوفيا يروفسكايا عضوا اللجنة التنفيذية لحزب إرادة الشعب وهما في الواقع مدبرا الجريمة ورأسا الحركة الإرهابية يومئذ ؛ وكان جليابوف من أقطاب حزب إرادة الشعب وأعظمهم نفوذاً وكان يومئذ نفي في الثلاثين من عمره ؛ وكان مولده في أسرة من الأرقاء ، ولكن الرقيق حرر وهو طفل فتنحنت أمامه آفاق جديدة ، وتلقى تربية حسنة ، ونجح في مدرسة الحقوق في أودسا وشغل منذ حداثة بالأدب الثوري والنظريات الاشتراكية والتحريرية ، ولم يلبث أن لفت أنظار السلطات ، واعتبر في سلك

المحرضين الخطيرين ونفى من أودسا . فذهب إلى كييف وهناك اتصل بأسرة غنية كان يعطى لولدها درساً وتزوج من ابنتها « أولجا » وعاش حيناً في هدوء وعزلة ، ولكنه لبث مع ذلك متصلاً بالأوساط الثورية ، ولما اضطرت الحركة الثورية في سنة ١٨٧٤ ونزل إلى ميدانها ألوف من الفتية والفتيات الذين ألهمت عقولهم وأرواحهم النظريات التحريرية الحديثة ، نظمت القيصرية من جانبها حملة القمع الدريع وقبض على ألوف من الدعاة والمحرضين وعقدت المحاكمات الرأفة تباعاً ؛ وكان منها المحاكمة الشهيرة التي عقدت في بطرسبرج سنة ١٨٧٧ وقدم فيها إلى المحكمة ١٩٣ متهما بينهم جليابوف ويروفسكايا ، ولكن جليابوف برى ؛ وما كان ينادر سجنه حتى اجتمع مع أقطاب زملائه وأسسا حزب « إرادة الشعب » وقرر الحزب أن يلجأ إلى سلاح الارهاب السياسي . وفي أغسطس سنة ١٨٧٩ قررت اللجنة التنفيذية إعدام القيصر اسكندر الثاني حسبا قدما ؛ ودبرت لذلك عدة محاولات متوالية ولكنها أخفقت . وكان جليابوف رأس اللجنة المدبر وكان يوجه الحزب بنفوذه القوي إلى ميدان النضال العنيف وكان شجاعاً لساناً قوي العزم والارادة لا يججم عن شيء . وكان وقت المحاكمة كما قدما نفي في الثلاثين من عمره ، مديد القامة ، قوي البنية . وسيم الطلعة ، حلو الحديث ، يعيل إلى الدعاية ويتدفق حين الجدل فصاحة وبيانا .

وكانت صوفيا يروفسكايا تنتمي إلى أسرة عمريقة شغل كثير من أعضائها مراكز كبيرة في الدولة ؛ وكان والدها حاكماً لمقاطعة سنت بيترسبرج ، ولكنها آثرت منذ حداثة حياتها الحرية والمغامرة ، ففادرت منزل الأسرة إلى العاصمة وتلقّت تربيتها في إحدى مدارس المملات ، ثم عينت بعد ذلك معلمة في إحدى مدارس الأقاليم ؛ ولكنها لم تنجح إلى السكينة والمزلة بل اتصلت بالحركة الثورية ، وقبض عليها لأول مرة بتهمة التحريض وهي دون العشرين . ولما أفرج عنها اشتغلت مدى حين ممرضة في أحد المستشفيات ثم قبض عليها مرة أخرى في قضية بطرسبرج الكبرى مع جليابوف وزملائه فبرئت ، ولكنها نفيت إلى إحدى المقاطعات الشمالية . بيد أنها تمكنت من الفرار وعادت إلى العاصمة حيث التحقت عضواً بحزب « إرادة الشعب » . وكانت حينها

سنة ١٨٨١ بدأت المحكمة الشهيرة أمام المحكمة العليا التي ألفت كما قدمنا من ستة من الشيوخ وعضوين من النبلاء وعضو عن التجار وعضو عن الفلاحين اختارتهم المحكمة وعمدة موسكو؛ وتولى رأسها الشيخ (الستانور) فوكس وتولى مهمة الاتهام النائب مورافيف؛ واعترف جميع التهمين بانتمائهم إلى حزب إرادة الشعب واشتراكهم في تدبير المؤامرة وتنفيذها، ما عدا جسيا قائمها أنكرت قيامها بأى عمل إيجابي، وميخايلوف فإنه اعترف بانتمائه إلى فرقة المرهبين ولكنه أنكر اشتراكه في تنفيذ الجريمة.

وكان اعتراف جليابوف بالأخص وناثماً مؤثراً؛ فقد ذكر أنه عضو في اللجنة التنفيذية وأنه انضم إلى الحزب نزولاً على إيمانه وعقيدته، وأنه وهب حياته منذ أعوام لخدمة قضية الحرية، ثم قص في بلاغة وقوة على المحكمة تاريخ أعمال اللجنة التنفيذية وما دبرته من مختلف المشاريع لازهاق القيصر، واعترف بأنه هو الذي دبر مؤامرة أول مارس، وأنه هو الذي اختار المنفذين لها من بين المتطوعين الفدائيين، ولكنه حاول جهده أن يبرئ ميخايلوف من تهمة الاشتراك.

وسمعت المحكمة عدة شهود من الشرطة وحجاب المنازل التي كان يتردد عليها التهمون وعدداً كبيراً من الضباط والمحبرين الذين شهدوا مصرع القيصر، وبعض زملاء ريسا كوف وأساتذته، فنوهوا جميعاً بذكائه ورقة خلاله. وسمعت تقارير الخبراء عن خواص القنابل والمفرقات التي استعملت في الجريمة ووقفت المحكمة بذلك على كثير من تفاصيل الحادث وسير الحركة الثورية.

والتى النائب مورافيف ممثل الاتهام صرافة قوية عنيفة، فقدم التهمين في صورة مجرمين من أروع طراز، وأبالسة من البشر ظمئين إلى الدم، وحمل على الحركة الثورية وعلى مثلها ودعاها بشدة، وقال إن هؤلاء القتلة لا محل لهم بين مخلوقات الله وإنهم من عناصر الهدم والفوضى يُعسِّدون طريقهم بالقتل، وإن الوطن الروسي الذي خضبوه بدم القيصر الثمين قد عانى كثيراً من أعمالهم، فعلى روسيا أن تصدر حكماً عليهم في شخص هذه المحكمة وليكن مصرع أعظم الملوك خاتمة حياتهم الاجرامية.

بض عليها في مارس سنة ١٨٨١ في السابعة والعشرين من عمرها لكنها كانت تبدو بنظر أمها الساحرة وعينيها الخضراوين وعيهاها رسم أصفر بكثير من عمرها؛ وكانت صوفياً تحب جليابوف بكراً جداً وترغم خطاه ومناصراته بعزم مدهش؛ وكان هذا حبها الأول والأخير. وكان جليابوف يبادلها هذا الحب المضطرب وكانا يشان معاً في أفق ساحر من الجوى والمثلث الثورية.

أما عن باقي التهمين فكان كباتشش مهندساً في نحو الثلاثين من عمره؛ وكان ميخايلوف عاملاً فني من عمال المعادن؛ وكانت سيبا هلفمان فتاة من أسرة متوسطة تخرجت في مدرسة القابلات لم تكن حبيبا ولكنها كانت مخلصه مطبوعة، وكان تعمل في لجنة اللجنة السرية وتدير المنزل الذي يجتمع فيه الأعضاء.

بقى ريسا كوف، وقد كان فتي حدثاً في التاسعة عشرة نمي إلى أصل متواضع؛ وكان وقت القبض عليه طالباً بمدرسة باجم يعني بيت البادية الثورية بين العمال؛ وكان أهم متهم في قضية بعد جليابوف وصوفيا بل كان مفتاح القضية في الواقع؛ أنه قبض عليه متلبساً بجريمته على أثر إلقاءه القنبلة الأولى، موكب القيصر، وقد رأى فيه النائب المحقق درجنسكي منذاعة الأولى فريسة سهلة، قال عليه بالاعتراف والألفاظ المعسولة استطاع أن يحمله على الاعتراف بكثير من الوقائع والمعلومات المتعلقة بالجريمة وحزب إرادة الشعب، وكان ريسا كوف هائم الذهن، مضطرب الأعصاب، فكان تارة يدون اعترافاته حقق وتارة يحاول تأييد مسلكه؛ وقد نشرت أقواله فيما بعد كتيب صغير ضمن ما نشر من وثائق هذا العهد، وهي أقوال ح فتى هائم يتخبط بين الرغبة في التمسك بمبادئه ومثله، وبين ع الذي يبهره فيه شبح الموت، ويقص ريسا كوف في كراته كيف كانت مشاعره الحساسة التي شجنتها طفولة بة تتأثر أيما تأثر بما يراه بين الفلاحين والعمال من مناظر من الطبقة، وكيف ترك لقاء الأول جليابوف في نفسه أعظم، وكيف أذكي جليابوف في نفسه عاطفة الكفاح، فانضم إلى عة المرهبين، وارتكب جريمته على أنها عمل مجيد.

الثورية ، فذكر أنها ليست إلا مهمة من المهام العديدة التي يتطلبها تطور روسيا ، وأنه يجب لكي تفهم غايات الحزب ووسائله أن يدرس ماضي هذا الحزب ، وهو ماضٍ قصير ولكنه حافل بالتجارب . وسترى المحكمة متى استعرضت كتاب حياته المفتوح أن أصدقاء الشعب الروسي لن يعمدوا دائماً إلى إلقاء القنابل ، وإنما قد عرفنا خلال نشاطنا أحلام الشباب الوردية . وإنه ليس خطأنا أن يكون هذا العهد قد انقضى .

« وإن حياتنا القصيرة التي قضيناها بين الشعب قد كشفت لنا عن حقيقة آرائه وآماله ، وعرفنا من جهة أخرى أن هنالك في ضمير الشعب كثيراً من العناصر التي يجب تأييدها . وقد عرك على أن نعمل باسم المصالح التي أخذ الشعب يشمر بها ؛ وليس باسم النظريات الخالصة . وقد رأينا سبيلنا العملية إلى ذلك أن ندير مؤامرة لاحتداث انقلاب حكومي ؛ ونظمتنا لذلك القوى الثورية أتم تنظيم . وقد كانت مهمتي الشخصية ومقصد حياتي أن أخذ المصالح العام . وعملت لذلك طويلاً بالوسائل السلمية ولكنني أبقنت في النهاية أن الالتجاء إلى العنف أمر محتوم » .

« لبحث بقية — النقل ممنوع ، محمد عبد الله عثمان »

علم التاريخ

أتمت لجنة التأليف والترجمة والنشر طبع الرسالة السابعة من خلاصة العلم الحديث وموضوعها « علم التاريخ » وهو تبحث في التاريخ من حيث هو علم ، وفي أغراضه وطرائقه وتاريخه من أقدم المصور وقوائمه وعلاقته بغيره من العلوم وضمها بالإنجليزية الأستاذ هرنشو وترجمها وعلق حواشيه وأضاف إليها فصلاً في التاريخ عند العرب

الأستاذ عبد الحميد العباري

ومن الكتاب ٨ قروش صاغ عدا أجرة البريد

ويطلب من دار اللجنة رقم ٩ بشارع الكرداسي

ومن المكاتب الشهيرة

ثم جاء دور الدفاع ؛ وكان الدفاع مهمة شاقة أمام هذا القضاء المسير وهذه المحكمة التي عقدت لأداء مهمة مميّنة . وكان شاقاً بالأخص أمام اعتراف التهمين الشامل ؛ ولم يكن لليوغات المنوية والمثل العليا اعتبار في هذا الجو الخائق . ومع ذلك فقد قام الدفاع بمهمته التقليدية ، فتولى الأستاذ أونوفسكي الدفاع عن ريسا كوف وصور للمحكمة عقلية التهم الفتية الساذجة ورجا المحكمة أن تراعى في تقديرها لجرمه حداثة سنه واضطراب أعصابه . ودافع الأستاذ خارتولاري عن ميخايلوف ففند أدلة اتهامه ، وبين أنها فيما عدا أقوال ريسا كوف لا تنهض دليلاً على اشتراكه . وأن ريسا كوف لم يكن متزناً ولا متفكراً في أقواله . ودافع الأستاذ جيركي عن جيسيا هلفمان وبين أنها لم تقم قط بأي دور إيجابي في هذه المحاولات الاجرامية ، وأن كل ما قامت به هو أنها كانت تؤجر المكان الذي اعتاد التهمون أن يعقدوا فيه اجتماعاتهم . ودافع الأستاذ جيراردى عن كباتشش وشرح للمحكمة العوامل والظروف القاسية التي دفعت إلى سبيل الاجرام .

وتولى الأستاذ كدرين الدفاع عن صوفيا بيروفسكايا ؛ وكانت مهمة فادحة لا تبث إلى شيء من الأمل ، فقد لبثت صوفيا حتى آخر لحظة متمسكة باعترافاتها ، واضطر الأستاذ كدرين أن يلجأ في دفاعه إلى ضروب من البلاغة المؤثرة ؛ فصور صوفيا فتاة وديمة هادئة تجيش بأعظم حب لوطنها ، وتعتقد بايمان راسخ أن المثل الثورية هي سبيله الوحيد إلى الخلاص والمجد ؛ واستعرض نشأتها النبيلة ، وحياتها المضطربة ، ومثلها العليا ؛ وبين أنها لم تنزل إلى الجريمة إلا مدفوعة بحبها للوطن .

أما جليابوف فقد آثر أن يتولى بنفسه الدفاع عن نفسه . وكان دفاعاً رائعاً تردد صداه خارج روسيا ، ووصفه مكاتب « التيمس » في بطرسبرج بأنه أعظم ظاهرة في القضية . وكان جليابوف يتدفق منطقاً وبياناتاً ؛ وكانت أقواله محاضرة فلسفية وسياسية مؤثرة ، واستهل جليابوف دفاعه بقوله : إن المبادئ بالنسبة لأولى المبادئ أتمن لديهم من الحياة ، وفند مطاعن النائب العام في مبادئ حزب إرادة الشعب ، وبسط مثل الحركة الثورية وغاياتها . ثم عطف على المسائل المنيفة التي تلجأ إليها الحركة